خاتمة

في خاتمة هذا البحث نستطيع تلمس هذا الخط المنهجي الذي سارت عليه هذه الرسالة في دراستها للبطل في المسرحية الشعرية المعاصرة في مصر .

إن الباحث يرى أن الفن مؤسس للوعي التاريخي بقدر ما هو نتيجة له ، وحافظ للذاكرة الجماعية بقدر ما هو انعكاس للواقع الاجتماعي المعاش ، ومن ثم فالبطل في المسرح الشعري إفراز اجتماعي معاصر ، حتى لو كان قناعا تاريخيا .

لقد كان الشعب منذ مطلع هذا القرن يبحث عن بطله .

والشعب "يحتاج دائما إلى بطل ، أو نموذج يجعل منه بطلا شعبيا يمجده ، ويقدسه ، ويتغنى له ... ولعل المصريين هم أشد الناس تمسكا بصورة البطل ، وضرورة وجوده في كل وقت ، فمنذ ملوك الفراعنة الذين ألهوهم وبنوا لهم المعابد والأهرامات ، إلى أولياء الله الصالحين الذين جعلوا أضرحتهم مزارا ... وحتى الخلفاء الفاطميين وسلاطين المماليك ، ومحمد علي المقدوني ، كل أولئك ألبسهم الشعب دثار البطولة ، ووضعهم في الإطار الذي لا يطيق أن يراه خاليا من صورة البطل ... لأنه إذا خلا الإطار من صورة البطل حل بالشعب الحزن ، وران عليه اليأس والسأم"(١)

---

(١) د. محمود ذهني : حبال السأم ، مجلة (إبداع) يونيو ١٩٨٧ ، ص ١٣ .

لقد كان الشعب المصرى يبحث عن بطله - منذ فشل ثورة عرابى - بطله الذى يحقق له الحرية ، والاستقلال ، ويبنى دولته المستقلة الناهضة ، وحاول أن يجده فى زعاماته السياسية ، مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول . وقد رافق هذا البحث عن البطل الوطنى نشأة المسرح الشعرى المصرى ، فوجدنا قضية التحرر من ربقة العدو الخارجى والاستقلال أهم ما يشغل البطل : (كليوباترة) فى (مصرع كليوباترا) لشوقى ، و (نتيتاس) فى المسرحية التى تحمل عنوان (قمبيز) لشوقى أيضا . ولقد كان البطل مثاليا فى كلتا المسرحيتين يضحى باحلامه فى الحب والحياة الرغدة التى يعيشها ، ويريق دمه فى سبيل بلده وحريتها ونهضتها .

ولقد كان البطل فى كلتا المسرحيتين امرأة ، ويتفق هذا مع نهوض المرأة المصرية بعد ثورة ١٩١٩ . التى قامت بأول مظاهرة نسوية مشاركة للثورة فى عام ١٩١٩ تطالب بالاستقلال وتحقيق مطالب البلاد . وقد قامت المرأة بدور لا يستهان به منذ دخلت الجامعة وشاركت فى الحياة العملية والاجتماعية بنشاطات متعددة . ونذكرهنا مشاركتها فى حركة المقاطعة التى نظمها الوفد للانجليز أثر اعتقال سعد للمرة الثانية .

ووجود بطلة - فى بدايات المسرح الشعرى فى مصر - مرتبطة بهموم وطنها ، ودفاعها عن قضاياه ، وذودها عنه ، وتضحيتها فى سبيلة إشارة ذات معنى لبعض الرجال الذين ينأون بأنفسهم عن قضايا الوطن ، ويؤثرون السكينة ، وينعزلون عن

مجتمعهم وقضاياه في جزر نائية منغلقين حول ذواتهم ، مع أن الطوفان حينما يجيء لن تعصمهم منه جزر ذواتهم الهشة .

وفي الثلاثينات – أقبلت عاصفة الرومانسية على الأدب العربي – وخاصة الشعر – ولقد كان الجو ملائما لنشأة الرومانسية في مصر . فالرومانسية ترتبط ... نهج حياة ، ونظرة إلى العالم وصورة تعبير فكري وفني بالطبقة البرجوازية ، فالرومانسية ليست مدرسة أدبية فحسب ، بل هي موقف ثقافي عام ... يصدر عن أساس اجتماعي معين هو نضج الطبقة البرجوازية ونهوض نظامها الرأسمالي "(١) : والبرجوازية " داعية تجديد تحمل لواءه ، لكن طبيعتها المزدوجة المترددة تجعلها تتفاءل بالاتجاه إلى هذا التجديد ، لكنها في ذات الوقت تتشاءم من نتائجه ، لذا ، فإنها تتردد بقوة بين التجديد والمحافظة "(٢)

ثم أقبلت في نهاية الأربعينيات موجة الشعر الحر ، أثر التغيرات الاجتماعية التي واكبت انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ونشوء المصانع ، ونمو وعي الطبقة العاملة ، وحديث الكتاب المستنيرين عن العدالة الاجتماعية ووجوب محاربة الفقر ، ثم قامت ثورة ١٩٥٢ وخاضت معارك وطنية عديدة منها معركة إخراج الإنجليز من مصر ، وتأميم قناة السويس وما استتبع ذلك من مواجهة العدوان الثلاثي ثم حاولت أن تحقق هاجسا عربيا مؤرقا وهو الوحدة العربية فخطت خطوة في سبيل إنجاز الوحدة العربية الكبرى بتحقيق وحدة مصر وسورية ، ووقفت مع الدول العربية

---

(١) د . عبد المنعم تليمة : مقدمة في نظرية الأدب ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٩٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

والأفريقية المحتلة حتى تحرر معظمها فى بداية الستينيات .

ثم بدأت تتضح فى الحكم الوطنى بعض مظاهر السلبية مثل انعزال الحاكم عن الشعب ، وعدم رحابة صدر النخبة العسكرية الحاكمة وما نتج عن ذلك من افتقاد الحوار مع فصائل المعارضة المتبقية بعد حل الأحزاب ووضعها فى السجون ، ثم انفصال سورية عن دولة الوحدة ، ثم مشاركة النخبة العسكرية فى حرب اليمن الجمهورية ضد الملكية (سبتمبر ١٩٦٢) ، وقد أسهم كل ذلك فى نشأة البطل المتمرد . وقد أفرز المسرح الشعرى أربعة نماذج للبطل المتمرد :

١ ـ البطل المتمرد على نظام الحكم السائد فى مجتمعه : ويمثله (الفنى مهران) فى المسرحية التى تحمل نفس العنوان لعبد الرحمن الشرقاوى ، فهو يتمرد على الحاكم الذى يدفع شباب بلده الى حرب خارجية لا ناقة لهم فيها ولا جمل . ويتمرد على الديكتاتورية والحكم المطلق ويتمرد على توظيف الدين لخدمة الحاكم ، أو أن تكون فتاوى المفتى مطية للحاكم الظالم يمارس من خلالها ظلمه وتسلطه .

٢ ـ البطل المتمرد على قيمة الظلم السائدة فى مجتمعه ويمثله (أخنوم) الفلاح الفصيح ، فى مسرحية (حكاية من وادى الملح) لمحمد مهران الغيد ، فهو يرفض أن يكون معنى العدل تقسيم الناس إلى سادة وعبيد أو ظالمين ومظلومين ، أو : حكام ومحكومين .

٣ ـ البطل المتمرد على الفهم الخاطىء لوظيفة الدين فى المجتمع : وتمثله شخصية (الحلاج) المتصوف فى مسرحية (مأساة الحلاج) لصلاح عبد الصبور ، حيث يتمرد على شارته (خرقة المتصوفة) لأنها تمنعه من الاختلاط بالناس ، الذين جاء الرسل لهم ، وجاء الدين من أجلهم ، ويقوم بدوره التنويرى فى مجتمعه حيث ينحاز للفقراء والبسطاء والضعفاء .

٤ ـ البطل المتمرد على نظام الأسرة والنظام الاجتماعى بأسره : وتمثله شخصية (سعيد) فى مسرحية (ليلى والمجنون) لصلاح عبد الصبور ، فقد كان ضحية مجسدة لهذا النظام . وسعيد ، يمثل الاستثناء فى الأبطال المتمردين . لان التمرد حينما يكون بلا هدف ، ويكون على نظام الأسرة (بنية المجتمع الأولى) لظروف خاصة مرت بالبطل فى نشأته الأولى ، فإنه يقدم لنا شخصية ضعيفة غير قادرة على التأثير . أو الفعل الإيجابى الذين يسهم فى تغيير صورة الحياة إلى الافضل ، وتظل صورته ضعيفة مهتزة ، ويكون أقرب إلى الشاعر الحالم الذى لايفعل شيئا اكثر من الحلم وانتظار المستقبل ، ليحققه .

وإذا كان البطل المتمرد إفرازا لعقود طويلة ، وتداخلت فى تكوينه عناصر شتى من الفكر الليبرالى . والروح الذاتية ، والدعوة إلى التجديد والثورة ... فإننا نجد بعد مجىء نكسة ١٩٦٧ بزلزالها الرهيب وأفول نجم النخبة العسكرية ، التى صنعت الثورة قبل خمسة عشر عاما ووجود محتل جديد يسيطر على سيناء بأكملها ، ثم ظهرت فلسفة (اللا سلم واللا حرب) وما واكبها من ضرب العدو الإسرائيلى

لأطفال مدرسة بحر البقر الابتدائية ، وعمال أبى زعبل ، و طائرة مدنية كانت قادمة من ليبيا ... فقامت مظاهرات الطلاب فى الجامعة ١٩٦٨ تطالب بالتصحيح ، والمقاومة . وانعكس ذلك على المسرح الشعرى فنشأ منذ عام ١٩٦٩ ما يمكن أن نسميه البطل المقاوم ، الذى أبرز لنا بطلا واقفا فى مواجهة العاصفة التى تحاول أن تقتلع جذور صموده وإصراره ، وقد أفرز المسرح الشعرى ثلاثة نماذج للبطل المقاوم .

١) البطل الذى يقاوم الحاكم الظالم : حتى لو كان الحاكم مدججا بالسلاح ، محاطا بجيش هائل من المستفيدين من نظامه ، والبطل هنا ينطلق وهو يعرف أن قواه غير متكافئة مع قوى الحاكم ، والبطل يعرف أن مصيره محتوم بالشهادة ، ولكنه لا يملك أن يتراجع ، كما رأينا فى نموذج (الحسين بن على) فى ثنائية : (ثأر الله : الحسين ثائرا ، والحسين شهيدا) لعبد الرحمن الشرقاوى .

٢) البطل الذى يقاوم العدو الخارجى ويحمل راية الصمود والمقاومة حتى يحقق الانتصار و الكرامة والعزة القومية لبنى وطنه ويمثل ذلك نموذج (حمزة) فى مسرحية (حمزة العرب) لمحمد إبراهيم أبى سنة ، فقد قاوم (حمزة) النفوذ الفارسى فى وطنه ، ونجح فى أن يعيد للعرب كرامتهم واستقلالهم .

٣) فى فترة السبعينيات ، وبعد الصلح المصرى/الإسرائيلى قاطع معظم العرب مصر ، وعاش العرب فترة سيئة من فترات التشرذم العربى امتدت حوالى تسع سنوات نتج عنها : ضرب الفاعل الذرى العراقى ، وحرب الخليج ، واختراق إسرائيل لبنان

و محاصرتهـا لبيروت أكثر من سبعين يوما . وقد أفرز المسرح الشعرى فى هذه الحقبة نموذج البطل المقاوم للتشرذم العربى الذى يؤدى إلى النكسات والهزائم ، فوجدنا نموذج (ابن زيدون) فى مسرحية (الوزير العاشق) لفاروق جويدة .

وبالتأمل فى نتاج المقاومة ـ فى المسرح الشعرى المصرى ـ نجد أن البطل عبر من مدّها وانكسارها ، فرأينا فى المرحلة الأولى البطل الذى يقاوم الظلم وهو يعرف أنه سيموت (الحسين) إلى البطل الذى يستطيع أن يجمّع قوى الشعب من حوله ويخوض معارك ظافرة ويواجه قوى الردة والتبعية ويجمعها حتى يحقق انتصاره الكبير (حمزة العرب) إلى أن انتهى بالمقاومة المطاف حيث يجد البطل نفسه محاصرا بالأخوة الأعداء الذين يثبطون همته ، ويتقاتلون على سدة الملك حتى يأتى الأعداء ، ويعصفون بكل شىء .

منذ منتصف السبعينيات ، شمر المثقف المصرى بغربته فى مجتمعه فقد ظهرت طبقات الطفيليين بعد سياسة الانفتاح الاقتصادى . وأصبح المثقف غير قادر ماديا على مواجهة متطلباته وأصبح دوره هامشيا فى الحياة فلا السياسيون يستشيرونه فى هموم بلده ولا آراؤه تستطيع أن تخترق جدار هذا المجتمع التقليدى المحافظ الذى ينحاز إلى السلفية ويرفض التجديد .

ومن ثم أفرز المسرح الشعرى أبطاله المغتربين منذ بداية الثمانينيات ، من خلال ثلاثة نماذج :

١) المصلح الدينى أو المجدد الدينى الذى يواجه مجتمعه التقليدى المحافظ بآرائه الإصلاحية ، فلا يقبلها أصحاب النفوذ والمصالح ويقاومونها بكل قوة فيفر البطل من هذا المجتمع ويبحث عن مجتمع آخر يقبل دعوته . وتجسد ذلك شخصية "أخناتون" فى المسرحية التى تحمل نفس العنوان لأحمد سويلم .

٢) الشاعر الذى لا يستطيع أن تتصالح روحه مع مجتمع التجار الماهرين والمكتنزين ، والشرطة . إن روحه المتفتحة للحق والعدل والحرية والجمال ترفض أن تتصالح مع كل هذا القبح ، ويقوده احساسه بالاغتراب إلى الانتحار .

٣) الثورى ، الذى شارك الثورة من أجل مصالح شعبه لا من أجل النخبة التى تحكم والذى يعرى رفيق كفاحه الذى استأثر بالسلطة وتخلى عن أحلامه الجميلة القديمة فى الحرية والعدالة والخير ، ليستمتع بالسلطة ، ومن الطبعى أن رفيق السلاح القديم الحاكم الآن لن يتركه شاهدا ، وكذلك السلطة لن ترحمه ، فتنجح فى قتله بعد أن تتم عملية تشويهه شعبيا أمام الناس الذين انتمى لهم ودافع عنهم . ويمثل ذلك "الشخص الأول" فى مسرحية (وينتصر الموت) لمحمد سعد بيومى .

والتأمل فى موقف (البطل المغترب) السلبى من مجتمعه ، وعدم سعيه إلى إحداث التغيير عن طريق الناس الذين ينتمى لهم ، والتأمل فى نهايته هجرة من أرضه أو تشويهها وقتلا ، أو محاولة للقتل بعد الجنون ، أو انتحارا : .. بالتأمل فى ذلك نجد رفضا - على مستوى الواقع والرؤيا - للبطولة والأبطال . يتمثل ذلك فى الواقع المعيش فى المحاولات الدائبة على تشويه أبطال التاريخ ، وفى نهايته وغربته مسرحيا - وكأن البطل أصبح : "شخصا غير مرغوب فيه"

ولعل البطل وصل إلى هذه النهاية بعيوب فنية رافقت رحلته ومنها : سطحية الشخصية ، والوقوع فى أسر التاريخ ، وميله الى الخطابة والوعظ ، وعدم رؤية الواقع رؤية صحيحة .

وفى النهاية نستطيع أن نؤكد أن المسرحية الشعرية المعاصرة فى مصر ، قدمت أبطالا ينتمون إلى الواقع ويعبرون عن آمال هذا الشعب وآلامه ، وكانوا أبناء حقيقيين له ينشدون الحرية ، ويضحون بذواتهم فى مثالية شديدة لا يبتغون شيئا إلا رفعة الوطن ومجده .

وحينما وجدوا الواقع الثقيل يحاصرهم بغلظة وفظاظة تمردوا من أجل وطنهم أولا ، لا من أجل ذواتهم .

وحينما عانى وطنهم من وطأة النكسة ، رفعوا راية المقاومة .

حتى حينما كان البطل مغتربا ، كان يحمل فى قلبه أملا كبيرا ورغبة أكيدة فى تغيير مجتمعه نحو الأفضل ، والأرقى .

وبعد ..

فلعل هذا البحث يضيف لبنة متواضعة الى صرح الدراسات الادبية والنقدية المعاصرة حول مسرحنا الشعرى .